العرب
الإثنين 2019/12/16
السنة 42 العدد 11560

ليانة بدر تعود إلى الماضي على ظهر سلحفاة

«أرض السلحفاة» رواية ضد تشويه المكان والذاكرة

لا شيء يمكنه حفظ الذاكرة وإبقاءها مستيقظة مثل الكتابة الأدبية، فالأدب لديه قدرة عجيبة لا تمتلكها حتى الكاميرا، على شحذ الذاكرة بالتوازي مع الخيال، حيث لا وجه نهائيا للذاكرة التي يختزنها الأدب، بل هي صور ومجالات متجددة، وهنا كان وعي الفلسطينيين فارقا في اعتمادهم على الأدب للحفاظ على الذاكرة.

السلحفاة أرض تعبر الزمن

رام الله – حملت الرواية الأخيرة للكاتبة الفلسطينية ليانة بدر، اسم "أرض السلحفاة"، وتجري غالبية أحداثها في الأراضي الفلسطينية المستعادة من الاحتلال الإسرائيلي بعد اتفاقية أوسلو.

> الرواية جاءت موزعة على مقاطع بين شخصيات وأحداث وتراوح في الزمن بين الماضي والحاضر وأحيانا المستقبل

تتابع الراوية رحلة بطلتها التي تعود إلى الوطن عبر جسر حدودي محملة بستة وثلاثين صندوقا، وبمخزون من الذكريات عن الأرض التي غادرتها في 1967 في زيارة لعائلة صديقة بعمّان مع عائلتها، ومنعتها الحرب في صيف ذلك العام من العودة إليها.

ضد التشويه

تعكس "أرض السلحفاة"، الصادرة مؤخرا عن دار الأهلية للنشر والتوزيع، حكاية شعب كامل أُجبر على الهجرة والتنقل من منفى إلى آخر، إلى أن حوّل الكولونيالي وطنه إلى منفى جديد له.

ويتداخل في الرواية صوت الشخصية الراوية مع صوت الكاتبة وهو يكتشف الأرض الجديدة، ببعدها الزمني الجديد، فيجوس بين الماضي والحاضر، حيث تفاصيل بقيت على حالها، مثل أحياء القدس القديمة مقابل تفاصيل بقيت في الذاكرة فقط وشوشت عليها متغيرات في أرواح الفلسطينيين وفي ما أحدثه "العدو" من تغيير على الأرض خلال ربع قرن من الاحتلال.

يبرر المضمون التقنية التي اعتمدتها الرواية الموزعة على مقاطع بين شخصيات وأحداث وتراوح في الزمن بين الماضي والحاضر وأحيانا المستقبل.

وبذلك، فإن بطل النص هو الأرض نفسها، الأرض التي مرّ فوقها ملايين البشر بأحصنتهم وعرباتهم العسكرية وأقدامهم، على مر العصور، فبقوا فيها أو رحلوا عنها ولم يتغير اسم فلسطين، إلا حينما جاء الأغراب (يهود العالم) من بعيد ليدّعوا أحقيتهم بها، فسرقوا الأرض وأقاموا عليها دولة، ومع السنوات توسعت إسرائيل ودخلت أجيال جديدة وصف بعضها بـ"المستوطنين" يزاحمون السكان الأصليين على فضاءاتهم؛ الطرق العامة، أماكن من مدن قد التهمت من بعض أحيائها، والقرى التي سويت بالأرض وأعيد بناؤها لصالح المستوطنين.

ورغم التغيرات التي طالت المكان، والتي يمكن اعتبارها نوعا من التشوه مع انتشار أسماء جديدة وبنايات بديلة في الحقول والبساتين التي اقتلع منها الزيتون والبرتقال والحجر والبشر. غير أن الراوية العائدة إلى الوطن من المنافي لا تسمي من الأسماء إلا ما حفظته قبل خروجها؛ المدن والبلدات مثل رام الله، القدس، الخليل، بيت جالا، أسماء الأسواق والحارات والأبواب التي تحيط بالمدن.

يغيب عن النص تقريبا إلا في ما ندر، اسم الشعب الآخر الذي احتل الأرض، فهو "العدو" فقط، وتغيب صفات "الصهيونية أو اليهودية أو الإسرائيلية"، عن مفردات وردت في سياق النص، مثل الجسر الخشبي (الحدودي) المجندة، الجيش، المستوطنة، ويرد اسم الدبابة ميركافا، وتكتفي الراوية بذاكرة المتلقي لاستعادة مرجعية السرد. هل هو عدم اعتراف بشرعية المحتل حين تم إغفال الاسم؟ هل هو تكريس للأسماء الفلسطينية مقابل تغييب أسماء منحها المحتل للمكان؟

رمز للأرض

"أرض السلحفاة" بعكس ما يوحي عنوانها للوهلة الأولى، ليست رمزا للبطء والبلادة، بل هي، بحسب الكاتبة ليانة بدر في مداخلة لها برام الله عند توقيع الكتاب، رمز لحيوان أرضي لا يكف عن المثابرة للوصول إلى هدفه، وهذا ما يجمعها مع الشعب الفلسطيني.

وأشارت بدر إلى أن السلحفاة من "أهم رموز طفولتنا"، هي الأرض كما كنا نتخيلها ونحن أطفال، السلحفاة بالنسبة إليها رمز للتجذر في الأرض، سواء من ناحية ميثولوجية وتاريخية، أو حتى من ناحية مجازية، فصحيح أننا نسير في بلادنا بسرعة السلحفاة، ورافقتنا وترافقنا العديد من الخيبات، ولكن هذا لا يعني الهزيمة، بقدر ما يعني أننا سنصل إلى ما نريد يوما ما، مستعيدة حكاية السلحفاة والأرنب.

ويذكرنا هذا العنوان برواية قصيرة صدرت قبل سنوات قليلة للكاتب محمود الريماوي، "من يؤنس السيدة"، تقوم العلاقة فيها بين أرملة وحيدة وسلحفاة تلتقطها من الطريق، مع فارق أن رواية الريماوي تروي مسار شخصية في بلد النزوح، بينما تنشغل رواية بدر بثيمة العودة والنبش في تراث الشعب الفلسطيني؛ من تطريز أثواب نسائه، إلى تفاصيل أعراسه، حلقات الرقص والأغاني، الأطعمة من أطباق وخضروات وفواكه، بل وحتى إلى تخاريفه.

وتجمع بين الروايتين، فلسطين، التي تحضر في الأولى من خلال لاجئة فلسطينية تعيش في حي بمدينة أردنية، وتحضر في الأخرى شخصية رئيسية، بكامل أرضها وشخوصها وزمنها، السلحفاة في العملين رمز وظفه كلّ من الكاتبين بطريقته لمعنيين مختلفين.

وينهي القارئ رواية "أرض السلحفاة" محملا بشخصيات وأماكن وأحداث جرت في فلسطين أو أثناء الاستعداد للعودة إليها، تبدأها بالشاعرة التي كتبت عن الحب من دون أن تعيش قصة حب في الواقع وتنهيها بهذه الشخصية وبحلم إنجاز فيلم عن رسائل تصل في زجاجات عبر البحر لتحكي قصصا من حياة الناس الذين عاشوا على هذه الأرض.

يشار إلى أنّ الكاتبة ليانة بدر، وُلدت في القدس عام 1952، وانتقلت مع عائلتها إلى أريحا حيث كان والدها يعمل هناك، وهو أحد رموز الثقافة العلمية في فلسطين. ونزحت مع عائلتها إلى الأردن عام 1967 بعد حرب يونيو، ثم التحقت بالجامعة الأردنية، لكنها لم تكمل الدراسة فيها إذ حصلت على شهادة الليسانس في علم النفس العام من جامعة بيروت العربية.

ومن مؤلّفات الكاتبة ليانة بدر "بوصلة من أجل عباد الشمس"، "عين المرآة"، و"نجوم أريحا".

المعرض الوطني للكتاب التونسي يقدم 15 ألف عنوان

تونس – يُعتبر المعرض الوطني للكتاب التونسي واحدا من أهم المشاريع التي أطلقتها وزارة الشؤون الثقافية بهدف دعم صناعة الكتاب التونسي، حيث إنّه تأسس ليُعنَى بالكتاب التونسي دون سواه في جميع مراحله من التأليف إلى التوزيع مرورا بالطباعة والنشر، وهو ما يُعطي هذا المعرض أهمية كبرى في سياق التظاهرات التي تُعنى بالكتاب وأهله.

وبعد نجاح الدورة التأسيسية، تنطلق الدورة الثانية للمعرض الوطني للكتاب التونسي في 19 ديسمبر الجاري لتتواصل إلى غاية 29 من ذات الشهر، وذلك تحت شعار "الكتاب... حياة" بعد أن سجّلت الدورة الأولى أكثر من 200 ألف زائر نظرا إلى انتظامه بمدينة الثقافة وسط العاصمة واختيار المنظمين أن يكون الدخول مجّانا.

وخلال الدورة الثانية تأكدت مشاركة 70 ناشرا في مساحة جُملية تصل إلى 1000 متر مربع سيتمّ فيها عرض 15 ألف كتاب تونسي.

هذا المعرض جاء نتيجة عمل دؤوب واجتهاد كبير من رئيس اتحاد الناشرين التونسيين وإيمانا من الناشرين التونسيين الذين أصبح لهم موعدان هامّان لترويج إنتاجهم، وهما متزامنان مع معرض تونس الدولي للكتاب الذي ينتظم خلال فصل الربيع، والمعرض الوطني للكتاب التونسي، وهو ما سيساعدهم على حلّ العديد من المشاكل، ومن ذلك ترويج الكتاب وتوزيعه.

يُذكر أن المعرض الوطني للكتاب التونسي حقق في دورته الأولى العديد من الأهداف مثل ربط علاقات شراكة وتشبيك بين الناشرين والكتّاب ما سيعود بالفائدة على الناشرين سواء الذين ينتجون 10 كتب في السنة أو من يتراوح إنتاجهم بين 100 و150 كتابا في طبعات أنيقة وإمكانيات ترويج وتسويق جيدة تجعلهم قادرين على منافسة كبرى دور النشر العربية التي يتّجه لها البعض من الكتاب.

> المعرض ينفتح على فضاءات جديدة ويقدم عددا من الفعاليات لرواده، ويستضيف كتابا تونسيين من مختلف الجهات

وقال محمد صالح المعالج رئيس اتحاد الناشرين التونسيين "الحقيقة أنّه لم يعد لهم أيّ عذر يفسر تفضيلهم للناشر العربي أو الأجنبي على الناشر التونسي، ونحن اليوم ننتج أكثر من ألفيْ عنوان سنويا بعد أن كان العدد في حدود ألف أو ألف ومئة كتاب وقد برمجنا يوما مهنيا للمزيد من تفسير هذا الوضع للكاتب والناشر ولتسهيل وصول الكتاب إلى القارئ".

وحول شعار المعرض قال المعالج إنّه شعار يحمل أكثر من دلالة. مضيفا "الكتاب يمنح الحياة لقارئه ويعيد الحياة لمن هم بعيدون عنه، لذلك اشتغلنا على فكرة أن الكتاب للجميع، وسوف يدخل الكتاب إلى السجون التونسية في إطار دعم الرغبة في مواصلة الحياة لدى المساجين وكذلك في المستشفيات والمنشآت العلاجية عموما ليكون الكتاب أنيسا للمريض، هذا فضلا عن ورشات متعددة تصبّ في هذا السياق الإنساني من ذلك ورشة لتدريب الأطفال على مكافحة الفساد بطرق مبسطة، وشراكات مع الجامعة العامة للتعليم الثانوي لتقديم برنامج يحمل عنوان "مُربّون مبدعون".

هذا وقد تمّ تغيير موعد تنظيم المعرض ليتزامن مع العطلة المدرسية وذلك قصد تمكين أكثر عدد من التلاميذ والطلبة من متابعة أنشطته وورشاته وزيارة أجنحته المتنوّعة.

هذا المعرض الذي ينتظم تحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية وبالتعاون مع وكالة إحياء التراث سينفتح في دورته الثانية وبشكل كبير على مبدعي المحافظات في قطع مع مركزية العمل الثقافي، حيث سيستضيف يوميّا 9 كتّاب من 9 محافظات. وبحسب مديرة الدورة إيمان بوخبزة فإنّ فقرات عديدة تمّت إضافتها خلال الدورة الثّانية من ذلك حلقات نقاش وحوارات ولقاءات فكرية وأدبية وعلمية تتوجّه لمناقشة مختلف القضايا الراهنة التي تهمّ الكتاب.

وأشارت بوخبزة إلى أنّ المعرض سيقدّم في دورته الثانية جائزتين هامتين، الأولى لأفضل عمل إبداعي نسائي والثانية لأفضل عمل إبداعي شبابي.

وحول دور وكالة إحياء التراث في المعرض أكد مهدي النجار أنّ "الكتاب ليس بغريب عن الوكالة التي تصدره وتتواصل عن طريقه مع العديد من المؤسسات والهياكل وتساهم به في حفظ مكانة تونس وتراثها وطنيا ودوليا".

وسجّل النجار بارتياح النقلة النوعية التي يعرفها الكتاب التونسي وانفتاح المعرض على المؤسسات السجنية والاستشفائية وخلقه لفرص الاعتراف بمجهود الناشرين والمؤلفين من أجل صناعة الكتاب والنهوض بالقطاع بصفة عامة.

معرض لكل التونسيين

شهادات شخصية للفائزين بجوائز العويس الثقافية

دبي – تزامنا مع حفل توزيع جوائز سلطان بن علي العويس الثقافية المقرر الخميس 19 ديسمبر الجاري، صدر حديثا عن مؤسسة العويس الثقافية كتاب جديد بعنوان "الفائزون.. شهادات شخصية"، حيث أدلى كل من: الشيخة مي بنت محمد آل خليفة، من مملكة البحرين الفائزة بجائزة الإنجاز الثقافي والعلمي، والمفكر السوداني حيدر إبراهيم علي الفائز بجائزة الدراسات الإنسانية والمستقبلية، والشاعر العراقي علي جعفر العلاق الفائز بجائزة الشعر، والروائية اللبنانية عَلوية صبح الفائزة بجائزة القصة والرواية والمسرحية، والناقد التونسي محمد لطفي اليوسفي الفائز بجائزة الدراسات الأدبية والنقد، بشهادات عن تجاربهم في الكتابة ورسموا صورهم بمرآة عاكسة، وقالوا ما لم يقله أحد عنهم.

إضافة إلى الشهادات الخمس تضمن الكتاب صور الفائزين (بورتريه) تم رسمها بريشة فنانين معروفين حيث رسم الفنان محمد فهمي صورة الشيخة مي بنت محمد آل خليفة، ورسم الفنان فيصل البستكي صورة الناقد محمد لطفي اليوسفي، ورسم الفنان بابورام تشاندرا صورة المفكر حيدر إبراهيم علي، ورسم الفنان فريد فاضل صورة الروائية علوية صبح، ورسم الفنان إحسان الخطيب صورة الشاعر علي جعفر العلاق.

وجاء في مقدمة الأمانة العامة لجائزة سلطان بن علي العويس الثقافية "كل مبدع من الفائزين بجوائز هذه الدورة فارس في ميدانه، يعمل خلف الكواليس ليبقى ضوء الطريق متوهجا، طريق الغد الذي ينير لنا المستقبل، وكل صوت من أصوات هذه الكوكبة قيمة كبيرة، فرسان أوقفوا بوصلة أعمارهم على حقيقة واحدة، حقيقة خلود كلماتهم، لم يتراجعوا، أو يتوقفوا في منتصف الطريق، لم تفتر هممهم، ولم يتوانوا عن مضاعفة العطاء كلما أوغلوا في أعمارهم. كلماتهم تدل عليهم، خطاهم الثابتة المتزنة، مثابرتهم، كلها ساهمت في نجاحهم، لتصبح لبنة في جدار الثقافة العربية، جدار يحمي هويتنا، وإلى ظله يفيء الناس كلما ازداد هجير أيامهم، هؤلاء حماة للثقافة العربية يساهمون في إعلاء كلمتها، وتوقير معناها".

وأضافت الكلمة "لذلك نحتفي بهم، وننظر بفخر إلى أعمالهم، ولسان حالنا يقول: أمتنا تنجب على مر الأزمنة نجباء مثل هؤلاء الذين ستُعانقون كلماتهم في الصفحات التالية".

ونذكر أن الكتاب الذي تبلغ عدد صفحاته 160 صفحة من القطع المتوسط سيتوفر مجانا خلال حفل توزيع جوائز سلطان بن علي العويس الثقافية في الثامنة من مساء الخميس 19 ديسمبر الجاري بقاعة البراحة في فندق أنتركونتيننتال بدبي فستيفال سيتي.